مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 23 العدد: 4 السّنة: الثّلاثيّ الثّالث 2021 ص207 - 226

النقد الثقافي، حدوده ومفاهيمه

Cultural criticism, its limits and concepts

د. لخذاري سعد*

تاريخ الاستلام: 16- 05- 2019 / تاريخ القبــول: 20- 07- 2020

التعريف الرقمي للمقال: doi 10.33705/0114-023-004-010

ملخّص: تأتي هذه الدّراسة لتبحث في النّقد الثّقافي بحدوده ومفاهيمه، حيث يعتبر هذا التّوجه من أحدث المناهج النّقديّة وأخصبها، لا سيما وأنّه مرتبط بقضايا ثقافيّة طغت ونشطت منذ النّصف الثّاني من القرن العشرين إلى اليوم. فالنّقد الثّقافي تميز بمنظومة مهيمنة وممتدة عبر عدّة حقول إنسانيّة، تغذّى من الفلسفة والتّاريخ والمجتمع وعلم النّفس... ما أهّله بحق لأنّ يكون منهجا يستحق الدّراسة، وكذلك توظيفه لمقاربة عدّة قضايا، سواءً كانت نصيّة أدبيّة حديثة أم من قضايا التّراث الإنساني في عمومه، لقد كان منشأ هذا التّوجه النّقدي أوربيا بحتا، ولكنّ ذلك لم يمنع باحثين عرب محدثين من الاستعانة به في دراسة قضايا تراثيّة أدبيّة، وفكريّة، لقد صار موضوع النّقد الثّقافي مفروضا على السّاحة النّقديّة مؤخّرا لأنّ النّقد الأدبي صار لا يفي بالغرض، بل صار النّقد الأدبي بمثابة محفز ومسبب لظهور النّقد الثّقافي بالرّغم من وجود أنصار كثر للتوجه الأوّل، إلاّ أنّ النّقد الثّقافي لم يستقر تماما عربيا بسبب غلبة جانبه النّظري على منظومته التّطبيقيّة على حد آراء بعض الباحثين في النّقد الأدبي، ومن هذا المنطلق نرى أنّ كل الباحثين العرب مدعوون اليوم لحقل النّقد الثّقافي للنهوض بمنظومته، ومصطلحاته ورؤيته ومنهجه الفاعل على النّص الأدبي المعاصر والقديم.

الكلمات المفاتيح: النّقد الثّقافي، الحدود، المفاهيم

* جامعة أكلي محند أولحاج بالبويرة الجزائر، البريد الإلكتروني: lakhdari.saad@yahoo.com (المؤلّف المرسل)

Abstract : This study comes to examine the cultural criticism with its limits and concepts, as this approach is one of the most modern and critical monetary curricula, especially as it is linked to cultural issues that have been overshadowed and active since the second half of the twentieth century until today. Cultural criticism is characterized by a dominant and extended system across several human fields, fed by philosophy, history, society and psychology ... What is truly entitled to be a curriculum worth studying, as well as employ it to approach several issues, whether modern literary texts or issues of human heritage in general, The origin of this critical approach was purely European, but this did not prevent Arab researchers from using it to study literary, intellectual and cultural issues. Cultural criticism has become a subject of criticism lately because literary criticism has become inadequate.

Literary criticism has become a catalyst And the cause of the emergence of cultural criticism, though From the presence of many supporters of the first orientation, but cultural criticism has not settled completely Arab because of the predominance of the theoretical part of the system applied to the views of some researchers in the literary criticism, and in this sense we see that all Arab researchers are invited today to the field of cultural criticism to improve its system and terminology and vision and methodology Actor on contemporary and contemporary literary text.

Key words: Cultural criticism, limits, concepts.

تتّصف العلوم سواءً أكانت تجريبيّة أم إنسانيّة بالتّطور والنّسبيّة وهو ما جرى ولا يزال يجري على علم اللغة والنّقد، فلطالما أثّرت اللسانيات في علم النّقد وأمدّته بالشّروط الضّروريّة للنشاط، وكما نعلم أنّ المنهج البنيوي هيمن وأنتج لنا اللسانيات والتي بدورها طبعت المناهج النّقديّة بالخاصيّة البنيويّة، والتي تؤدي بتفسير النّصوص بانغلاقها، وعلى أنّها نظام محكم قوامه مجموعة من القواعد الصّارمة، ولكنّ هذه الميزة ما برحت تغادر الدّرس النّقدي الذي تحرّر من قيود البنيويّة، فأتى عصر ما بعد الحداثة والتّفكيكيّة والتّشريحيّة ونظريّة القراءة، وتزعّم التّوجه التّواصلي ما بعد البنيوي النّقد الثّقافي كأحد أهم

المناهج النّقديّة التّواصليّة، والذي طوّره دارسون غربيون محدثون رأوا فيه ضرورة وحتميّة حضاريّة بفعل العولمة والصّراع الإيديولوجي، وصراع الإثنيات، وظهور مواضيع ثقافيّة معاصرة، وهذا ما دعانا في هذا البحث أن نبصّر القارئ بخصائص ومفاهيم وحدود المنهج النّقدي الثّقافي، وما تضمّنه من آراء علماء ونقاشات.

أوّلا: تحديد المفاهيم:

أ) مفهوم النّقد: النّقد هو:" فن الحكم على الإنتاج الأدبي والأعمال الفنيّة، وللنقد الأدبي قواعد. فالنّقد هو الذي يبحث فيه الفرد ما إذا كان العمل مؤلّفا لإرضاء القراء، وإذا كانت الاختراعات جديدة...وهناك النّقد النّحوي الذي يتم فيه اعتبار العمل أو الخطاب أو القصيدة بالنّسبة للأسلوب، وما إذا كانت الجمل صحيحة، وما إذا تم اختيار الكلمات جيدا وإذا ما كانت الأرقام في مكانها. والنّقد -كذلك-هو الحكم الذي يقوم به النّاقد؛ وهو من أفضل الاستعراضات التي بذلت، وهو مناقشة الحقائق والنّصوص. وهذا يبرز بشكل غير مباشر عيوب الشّيء، سلوك النّاقد هو انتقاد لك...والنّاس الذين ينتقدون لا يستطيعون الهروب من ملامح النّقد. وقد يعني النّقد الممارسة، وهو مناقشة دقيقة للوسائل التي اقترحها الطّرف المنافس. أمّا من النّاحيّة الفلسفيّة: فالمصطلح النّقدي يتفق أحيانا مع نظام كانط الفلسفي"[1]؛ فالنّقد قديم في طرحه، موجود في آراء فلاسفة اليونان، وكذلك موجود في جهود العرب القدامى، ارتبط بالبلاغة قديما، وارتبط حديثا باللسانيات، وقد كان قبل ظهور علوم اللسان ذاتيا وغير مؤسّس، لكنّ مع الطّرح اللساني وهيمنة النّظرة العلميّة للأشياء صار محتكما لقواعد وضوابط، وهو يتطور ويتغير بتغير المعطيات والآراء اللسانيّة، كالبنيويّة والانفتاح السّياقي المابعد بنيوي، فالانطباع وإبداء الرّأي حول العمل الأدبي النّثري أوالشّعري موجود منذ وجود الأدب نفسه.

ب) مفهوم الثّقافة: يمكننا تعريف الثّقافة من أنّها:"...كل ما يصوغ الرّصيد الكلي للعمل الإنساني ومنتجاته الاجتماعيّة، في مقابل ما ينقل عبر الوراثة البيولوجيّة، فهي مجموع الأنشطة أو الفاعليات الإنسانيّة التي تتجلى في السّلوك العملي والعقلي معا وهو سلوك قابل للتعلم والتّداول من ثنايا النّظم والمؤسّسات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة والعلميّة والعقائديّة والفنيّة...إلخ، وإذا ما زودت الطّبيعة الإنسان بالمواد الأوليّة، فإنّ

الثّقافة هي التي تحدّد أسلوب استثمارها لخدمة حاجاته ومطالبه وتعدّ الجوانب البيولوجيّة في الإنسان جزءًا من خام الطّبيعة التي تضع الثّقافة أساليب أدائها ومعاييرها، ويضم هذا الأسلوب في المعيشة العادات والمعتقدات والمهارات، كما ينطوي على البواعث والأهداف التي تحث على المشاركة في إنشاء النّظم والمؤسّسات الماديّة وغير الماديّة..."[2]؛ فالثّقافة فضاؤها واسع ويمتد إلى مختلف الأنشطة التي يقوم بها الإنسان، تتم عن طريق التّعلم والمحاكاة بالوراثة، فالملبس والأكل والموضة والسّلوكات اليوميّة، والكلام اليومي والتّصورات والعالم المتخيل، والعالم الحقيقي؛ كلها أنساق ثقافيّة، ولهذا يمكن اعتبار كل تعلمات الإنسان ثقافة، فهي مستويات على صعيد الأشخاص، تصير بمرور الوقت تتحكم في لا وعينا، في عقائدنا، ومواقفنا، ونظرتنا إلى الماضي والمستقبل ونظرا لحساسيّة هذا الجانب من حياة الإنسان، فقد أنشئ لرعايتها المؤسّسات الحكوميّة، والإيديولوجيات بهدف التّوجيه والحماية وتوجيه القوى. ولهذا أخذت الثّقافة نقاشات حادة مع العولمة والهويات والمجتمعات المختلفة.

ج) مفهوم النّقد الثّقافي: يرى "أرثر أيزابرجر" (Arthur Ayzaberger) أنّ:"...النّقد الثّقافي نشاط وليس مجالا معرفيا خاصّاً بذاته، كما أفسّر الأشياء. بمعنى أنّ نقاد الثّقافة يطبقون المفاهيم والنّظريات المتضمنة في هذا الكتاب (النّقد الثّقافي) -في تراكيب وتباديل- على الفنون الرّاقيّة والثّقافة الشّعبيّة، والحياة اليوميّة وعلى حشد من الموضوعات المرتبطة. فإنّ النّقد الثّقافي -كما أعتقد- هو مهمّة متداخلة، مترابطة متجاوزة، متعدّدة، كما أنّ نقاد الثّقافة يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون أفكارًا ومفاهيم متنوعة وبمقدور النّقد الثّقافي أن يشمل نظريّة الأدب والجمال والنّقد، وأيضا التّفكير الفلسفي وتحليل الوسائط والنّقد الثّقافي الشّعبي، وبمقدوره أيضا أن يفسر (نظريات ومجالات علم العلامات، ونظريّة التّحليل النّفسي-والنّظريّة الماركسيّة والنّظريّة الاجتماعيّة والإنثروبولوجيّة...إلخ) ودراسات الاتصال، وبحث في وسائل الإعلام..."[3]؛ فالنّقد الثّقافي يضم تحت غطائه كل المجالات التي تحت غطاء الثّقافة، ونحن كما نعلم الطّابع المهيمن لمصطلح الثّقافة، والتي تضم أنساقًا عديدة لا حصر لها، وبالتّالي المحلل في النّقد الثّقافي عليه أن يغرف وأن يستعين بكل الحقول التّخصّصيّة ضمن نطاق العلوم الإنسانيّة، بدءًا من الفلسفة إلى مختلف العلوم والبحوث التي ظهرت في العصر الحديث حتى نستطيع بعد ذلك استنطاق النّص ضمن أبعد

مدى وكمجموعة من الأنساق المضمرة التي تأخذ بأيدينا إلى عوالم وفضاءات لم نكن نتوقع الوصول إليها.

لقد استطاع النّقد الثّقافي الجمع بين عدّة حقول: " فالجديد في النّقد الثّقافي هو رفع الحواجز بين التّخصّصات والمستويات في الممارسات الإنسانيّة لأنّها تنتمي جميعا إلى الثّقافة التي هي مجمل صنيع الإنسان في البيئة الطّبيعيّة، ومن ثم ينكر النّقد الثّقافي التّفرقة التّقليديّة بين القاعدّة (البناء التّحتي)، والبناء الفوقي، وكذلك التّمييز بين الواقعي والأديولوجي، أو بين المادي والرّوحي، فالثّقافة اسم جمع يصدق على أمور متباينة تضمها تسميّة واحدة. ولا يعني النّقد كشف الإيجابيات والسّلبيات، بل يشير إلى ما يقصده الفيلسوف كانط بالنّقد وهو تبيان الإمكانيات المتاحة، والحدود التي ينبغي الوقوف عندها في إنتاج أو استقبال الدّلالات للممارسات التي تحمل معنى في كل السّياقات الثّقافيّة ويتبدى ذلك في إجراءات التّفكيك والتّحليل والتّفسير"[4]؛ ففي النّقد الثّقافي استطاع الباحثون التّقريب بين عدّة علوم ومعارف ومجالات كالإيديولوجيا والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النّفس، والسّيميائيات والتّأويل والسّياسة، نظرا لأنّ كل هذه العلوم تصطف تحت غطاء الثّقافة، لقد صار العمل في النّقد الثّقافي على الخطابات اللغويّة وغير اللغويّة بهدف التّشريح والتّفكيك ثم إعادة التّركيب لمعرفة الأنساق العميقة المتحكمة في الإنتاج الإنساني لم يعد الأمر في النّقد الثّقافي الكشف على الملامح الجماليّة الإيجابيّة، بل صارت القضيّة متعلّقة بالكشف كيفما كان هذا البحث.

لقد دعا (ليتش) إلى نقد ثقافي: "...يستوعب متغيرات ما بعد البنيويّة برفضها للعقلانيّة التّنويريّة وعدم اكتراثها بالتّوجهات الأساسويّة (أي التي تؤمن بوجود أسس مطلقة لأي شيء) أو بالحدود التّقليديّة بين التّخصّصات والموضوعات أو ما هو معتمد أو رسمي في الثّقافة. ثم يحدّد معالم النّقد الذي يدعو إليه، فيذكر ثلاثة معالم:

1-أنّ اهتمام النّقد الثّقافي لا يقتصر على الأدب المعتمد.

2-أنّه يعتمد على نقد الثّقافة وتحليل النّشاط المؤسّسي-بالإضافة إلى اعتماده على المناهج النّقديّة التّقليديّة.

3- وهي أبرز سماته، أنّه يعتمد على مناهج مستقاة من اتجاهات ما بعد البنيويّة، كما تتمثل في أعمال باحثين، مثل: بارت ودريدا وفوكو"[5]؛ لقد أحدث النّقد الثّقافي العلامة الفارقة، كونه كسر كل الإكراهات والطّابوهات التي كانت مفروضة، فهو توجه لا يؤمن بالتّقديس والكمال، بل كل شيء نسبي وقابل لإعادة النّظر والتّفكيك، لقد وضع النّقد الثّقافي صلات وجسورًا بين عدّة علوم وحقول كانت منفصلة، فهو يستعين في منظومته بتظافر التّاريخ والإيديولوجيا وعلم النّفس والفلسفة والاجتماع والفن، لأنّها تنضوي كلّها تحت غطاء الثّقافة، وقد كان كل الأدب في نظر النّقد الثّقافي يكتسي-الأهميّة، ولا يوجد أدب رفيع أو متميز، وأدب وضيع، فكلها تعكس حالة وثقافة معينة، كما أنّ هذا الاتجاه لا يتورع في الإفادة من التّراث والتّقاليد الماضيّة، لأنّها جزء من ثقافتنا ويمكنها أنّ تطور من المنظومة النّقديّة المنتهجة، ولنا في بارت المثال النّاجح في ذلك، فقد أفاد من البنيويّة ومن الفن والفلسفة والبلاغة التّقليديّة في مقاربة كل الإنتاجات: الموضة، الطّعام، الصّورة الإشهاريّة، الأزياء واللغة، فكلّها حاملة للثقافة وبها نسق منظم يحكمها، فأوجد بذلك مقاربة ناجعة ثقافيّة نقديّة أحدثت ثورة في مجال الدّراسات النّقديّة.

يرى "أرثر أزا برغر" (Arthur asa berger) أنّ النّقد الثّقافي: "...تعهّد أو مشروع متعدّد المعارف، ومتداخل المعارف، ومعرفة عن المعارف ومجموعة معارف. إنه نشاط يتصل بالنّظريّة والنّقد الجماليين والأدبيين، وبالفكر الفلسفي وبتحليل الوسائط وبنظريات التّفسير وبمعارف؛ كالسّيميائيات والتّحليل النّفسي-والنّظريّة الماركسيّة والنّظريّة الاجتماعيّة والأنثروبولوجيّة وغيرها، وبدراسات التّوصيل ووسائل الاتصال الجماهيري، وهو نشاط يتوخى تحقيق هدف نبيل هو فهم الثّقافة المعاصرة، وغير المعاصرة بمختلف أشكالها وذلك من خلال تفحّص الظّاهرة الثّقافيّة في شبكة علاقاتها بالظّواهر الثّقافيّة الأخرى في المجتمع، والخروج باستنتاجات معينة عن التّعبيرات التي خضعت لها خلال فترة من الزّمن"[6]؛ ولهذا نجد أنّ النّقد الثّقافي استقطب كل الباحثين ضمن مجالات المعرفة الإنسانيّة، وكان وسيلة ناجحة في دراسة مظاهر التّجاذبات الإيديولوجيّة كالماركسيّة والعالم الرّأسمالي الحر، كما أنّ الدّارسين والنّقاد العرب وعلى رأسهم (عبد الله الغذامي) وجد ضالتّه في هذا التّوجه النّقدي لدراسة جوانب من التّراث العربي، وحذا حذوه عديد الدّارسين العرب المحدثين، كما أنّ الدّارسين الغربيّين، ومن أهمّهم (رولان بارت) وظّف

السّيميائيات واللسانيات لدعم النّقد الثّقافي ودراسة مناحي ونتاجات الثّقافة المعاصرة بما تحمله من ثراء وأساليب وأذواق في التّعبير، لقد كان النّقد الثّقافي ملتقى ونشاطا للعديد من النّظريات والتّجارب والكشوفات، لذلك كان الهم في إثراء النّقاش النّقدي الثّقافي، لمّا ولّده الإنسان المعاصر والقديم من رؤيته وتصرفه مع الوجود، والارتقاء بنفسه في مدارج الإنسانيّة.

خلُص "نزار جبريل السّعودي" إلى مجموعة من النّتائج حول النّقد الثّقافي، نختصرها فيما يلي:[7]

1-النّقد الثّقافي نقدٌ تكاملي عابر للحقول المعرفيّة، أفاد من النّقد الاجتماعي الماركسي- والنّقد التّفكيكي، والنّقد البنيوي...

2-برزت عدّة مفاهيم وقضايا رئيسة يمكن للناقد الثّقافي تناولها في إطار درسه للخطابات، وأهم هذه المفاهيم والقضايا هي: الهيمنة الثّقافيّة والنّسق الثّقافي، واللاوعي الثّقافي، والاستشراق وخطاب ما بعد الكولونياليّة، والنّسويّة الثّقافيّة...

3-من المفاهيم الفرعيّة التي نتجت عن دراسة المفاهيم الرّئيسة في النّقد الثّقافي، مفهوم التّسلط والسّيطرة والحكم والانضباط...

4-ثمّة علاقة قويّة بين الهيمنة واللغة والتّاريخ والاقتصاد، إذ يمكن لها أن تصبح وسائل للهيمنة على الفكر وتنميط الذّائقة.

5-سعى النّقد الثّقافي لفهم دور الثّقافة في إعادة تشكيل العلاقات الجنسيّة والطّبقيّة بين الرّجل والمرأة.

6-ركّز النّقاد الثّقافيون الذين درسوا تأثير الإعلام على قضيّة استيلاب الفكر والهويّة...

فلقد كان النّقد الثّقافي في صلب النّقاشات المعاصرة، أخذ يرافق العديد من الأشياء بغيّة دراستها وفهم نسقها كالإيديولوجيا والسّلطة المجتمعيّة، وتأثير الاستعمار على الأدب والتّأثير الثّقافي وقضايا المرأة، لقد جاء ليتولى زمام المسؤوليّة لقضايا لم يستطع النّقد الأدبي معالجتها بفعل شكليته الصّارمة، لوحظ تداخل النّقد الثّقافي مع علم النّفس وعلم الاجتماع والتّاريخ والفلسفة والإعلام والفكر، ليقدّم إجابات وآراء وطروحات، من هذا المنطلق كانت

أزمة العصر الحالي أزمة ثقافة، ما دعا تدخل النّقاد المحدثين ليربطوا نقدهم مع القضايا الثّقافيّة الرّاهنة حتى نساير الواقع ونستغل ميدان النّقد استغلالا نافعا وإيجابيا.

ثانيا) النّقد الثّقافي وتوابعه:

أ) خصائصه: لقد تم طرح مصطلح النّقد الثّقافي من قبل "فنسنت ليتش"(Fensent Lich)، وهو يتكئ على عدّة حقول ومجالات لقد كان النّقد الثّقافي متموقعا ضمن مناهج ما بعد البنيويّة وما بعد الحداثة، ويقوم النّقد الثّقافي عند ليتش على ثلاث خصائص هي:[8]

- لا يؤطّر النّقد الثّقافي فعله تحت إطار التّصنيف المؤسّساتي للنص الجمالي، بل ينفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسّسة، وإلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسّسة، سواء كان خطابا أم ظاهرة.

- من سنن هذا النّقد أن يستفيد من مناهج التّحليل العرفيّة مثل: تأويل النّصوص ودراسة الخلفيّة التّاريخيّة...

- إنّ الذي يميّز النّقد الثّقافي المابعد بنيوي هو تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النّصوصي، كما هي لدى بارت ودريدا وفوكو...

فالنّقد الثّقافي جاء ليضع حدًّا لصرامة البنيويّة، لقد جاء ليجعل النّص منفتحا وأكثر ديناميّة، تصير بذلك الخطابات تعطي أكثر ممّا تتيحه اللغة، فتأتي أنساق عديدة، فلسفيّة وتاريخيّة واجتماعيّة غير لغويّة حتى تقول كلمتها حول النّص ليخرج مخبوءاته ومعانيه البعيدة والعميقة، إنّ النّقد الثّقافي جاء ليريح النّاقد والمحلل من الضّوابط حتى يفيد من العالم المفتوح بما يمنحه من دوال ونواحٍ غير محدودة، وهي ضرورة عصريّة لما تميّز به هذا العصر من انفجار ثقافي ومعرفي وانفتاح على عوالم جديدة أكثر رحابة.

ب) وظائفه: للنقد الثّقافي وظيفة، فـ:"...النّقد الثّقافي فرع من فروع النّقد النّصوصي العام، ومن ثمّ فهو أحد علوم اللغة وحقول (الالسّنيّة) معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثّقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسّساتي وما هو كذلك سواء بسواء. من حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثّقافي الجمعي. وهو

لهذا معني بكشف لا الجمالي، كما هو شأن النّقد الأدبي، وإنّما همّه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي /الجمالي، وكما أنّ لدينا نظريات في الجماليات فإنّ المطلوب إيجاد نظريات في (القبحيات)، لا بمعنى البحث عن جماليات القبح، ممّا هو إعادة صياغة وإعادة تكريس للمعهود البلاغي في تدشين الجمالي وتعزيزه، وإنّما المقصود بنظريات القبحيات هو كشف حركة الأنساق، وفعلها المضاد للوعي وللحس النّقدي"[9]؛ فوظيفة النّقد الثّقافي لا تتّفق تماما مع نظريّة النّقد الجمالي، لا يركّز النّقد الثّقافي على الجماليات، بل ويركّز على القبح والأنساق المضادة لوعي الإنسان ورصيده، فهو أوسع من النّقد التّقليدي، لا يسلّم منهجه بسهولة للكاتب والقارئ، بل دوره حفري يبحث في التّناقضات العميقة للإنتاج، فهناك بعض الأنظمة الخفيّة المضادة لحقيقة الوجود، لا ينبغي التّغافل عنها وتركها في منأى عن البحث والنّقاش، وبالتّالي علينا أن نطرح من جديد كل النّصوص بانفتاح على الوجود بكل مكوناته حتى نجلي الجميل والقبيح والاستغفالي عن طريق التّحكم المنهجي في النّقد الثّقافي وبالتّالي فإنّ هذا التّوجه استطاع أن يعيد ترتيب الإجابات وتعريّة الأدب حتى يكون أكثر صراحة ورحابة وقدرة على التّوليد.

لقد صار للناقد الثّقافي مهمّة في عصر الحداثة،" ولكنّ ما يقدّمه النّاقد من قيمة لفهم المجتمعات الحديثة وثقافتها، -لأنّه حتما لها قيمة ما بطريقتها، وسوف تكون لها دائما هذه القيمة-، هو هذه الحاجة إلى كل من الاتساق والشّموليّة في آن، والتي لا يمكن الحصول عليها إلاّ من خلال الدّراسة شبه الكهنوتيّة للروائع كمنتجين للنقد، إنّنا نمتهن البحث في هذه النّصوص الطّافحة بالحقائق غير الجليّة، والبنى العميقة والتي تعدّ عناصر لاتساق تجريبي إنساني. ربّما إنسانيّة أكثر من اللزوم في حقبة مضطرة إلى البحث عن رؤيّة متسقة مع التّطبيق العملي (Praxis) في عبادات الاستهلاك...في المجتمع الحديث نحن الوحيدون الذين لا زلنا نذكر المعنى الإنساني الذي منحناه فيما سبق للتاريخ. وإذا كنّا غير قادرين على تغييرها يمكننا على الأقل -حيث لا يرى العلماء إلاّ بنيات في غاية التّشعب للوسائل- كشف وإجلاء الغاية الإنسانيّة للحداثة"[10]؛ فالعالم اليوم صار قريّة تجمعه ثقافة كونيّة غاية في التّشعب والتّشابك، لقد صار النّاقد الثّقافي منتجا للنقد، وغير خاضع مثلما كان الأمر مع النّقد الكلاسيكي، لقد صارت الثّقافة تخضع اليوم لخصائص علميّة عديدة من اتساق وانسجام وشمول، فهناك نظام ثقافي خفي يشتغل وينتج كل النّصوص، تأتي مهمّة النّقد

الثّقافي لإجلاء هذه الثّقافة العميقة المسيطرة، وهي مصدر كل الانتاجات الإنسانيّة التي نراها اليوم، لقد جاءت الفرصة لتوحيد النّقد عبر عدّة ثقافات بفعل العولمة والحداثة والعالم المتسق والمنسجم، فالثّقافة وحّدت النّظر وقرّبت الرّؤى، فصرنا اليوم نستطيع أن نتحدّث عن الثّقافة الكونيّة، كما أنّ الحداثة بصفتها ثقافة فتحت المجال للتنوع الثّقافي والقدرة على الانفتاح على المجتمعات مهما كان نوعها وطبيعتها.

ج) موضوعاته: النّقد الثّقافي: "...يشير إلى تحليل الأدب، بما في ذلك الأدب الشّعبي (Popular Literature) وأشكال الفن الأخرى بما فيها الرّسم والعمارة والنّحت والرّقص والموسيقى والمسرح والفن السّابع وفن الرّسوم المتحرّكة، ضمن سياقاتها الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة، مستلهمين في ذلك علم الاجتماع والفكر الفلسفي المادي ولاسيما الماركسيّة. أمّا مصطلح (الدّراسات الثّقافيّة) فإنّه يشير إلى الدّراسة المتداخلة المعارف (Interdisciplinary) للظواهر الثّقافيّة المعاصرة، والتي تعنى أساسا بالصّلات المتبادلة بين إنشاءات إنسانيّة متنوعة"[11]؛ فلطالما تداخلت الدّراسات الثّقافيّة بالنّقد الثّقافي، لأنّ الأخير أوسع وأعمق من الأوّل، فكل وسائل التّعبير المعاصر تعتبر أدبا، سواءً أكان مخطوطا بوسائل اللغة المباشرة، أم يتم التّعبير بالأشكال الفنيّة المختلفة فالكائن البشري يكتسب ثقافة من طرق ووسائل مختلفة، ويريد هو الآخر إثارتها ومشاركتها مع الآخر، ويأتي دور النّاقد الثّقافي ليتفاعل مع هذا الإنتاج محللا ومتعمّقا ومفكّكا، حتى أنّ هذا النّاقد يمتد إلى أبعد ممّا يظن ذلك المنتج أنّه يعلمه، عن طريق التّحليل المنطقي الفلسفي ودراسة الإيديولوجيا والتّوجهات والحالات، فهو يهدف لكشف الأنساق والبنى العميقة المحركة لهذا العمل الفني.

د) الدّلالة النّسقيّة: يقدّم "عبد الله الغذامي" تقسيما جديدا للدلالات يدعوه "الدّلالة النّسقيّة" وهي ذات ملمّح ثقافي فـ: "...الدّلالة النّسقيّة ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزّمن لتكون عنصرا ثقافيا أخذ بالتّشكل التّدريجي إلى أن أصبح عنصرا فاعلا، لكنّه وبسبب نشوئه التّدريجي تمكن من التّغلغل غير الملحوظ، وظل كامنا هناك في أعماق الخطابات، وظل يتنقل ما بين اللغة والذّهن البشري فاعلا أفعاله من دون رقيب نقدي، لانشغال النّقد بالجمالي أوّلا، ثم لقدرة العناصر النّسقيّة على الكمون والاختفاء. وهو ما يمكنها من الفعل والتّأثير غير المرصود، وبالتّالي تظل باقية ومتحكمة فينا وفي طرائق تفكيرنا، ومهما جرى لنا من تغيّرات ثقافيّة أو حضاريّة تظل هذه التّغيرات تغيّرات شكليّة لا

تمسّ سوى الجوانب الخارجيّة، بسبب تحكم النّسق فينا..."[12]؛ فالثّقافة هي نسق أو مجموعة من الأنساق تتحكم في كل الخطابات الأدبيّة منها وغير الأدبيّة، وهي محرّكة للفعل الأدبي، وذات دلالات ومضامين مضمرة يحتاج الكشف عنها انفتاح النّص على العالم وعلى الوجود، فهناك عناصر في لا وعينا تسهم في هضم النّص أو إنتاجه، هذه العناصر تراكمت عبر التّاريخ وعبر تطوّر نظام البشريّة وبناء الرّصيد الإنساني، وبالتّالي عندما نسمع الكلام أو نتفاعل مع النّص نحن لا نلامس فقط البنيّة السّطحيّة، ولا نلامس فقط الجانب الجمالي من النّص، بل نحرّك منظومتنا النّسقيّة الثّقافيّة لكي تعطي روحا ومعنى وكشفا لأجزاء النّص المرتبة المُنتجة.

كما أنّ هناك اصطلاح آخر وهو "النّسق المضمر"، والمقصود به: "...أنّ الثّقافة تملك أنساقها الخاصّة التي هي أنساق مهيمنة وتتوسّل لهذه الهيمنة عبر التّخفي وراء أقنعة سميكة، وأهم هذه الأقنعة وأخطرها هو في دعوانا قناع الجماليّة، أي إنّ الخطاب البلاغي الجمالي يخبئ من تحته شيئا آخر غير الجماليّة، وليست الجماليّة إلاّ أداة تسويق وتمرير لهذا المخبوء، وتحت كل ما هو جمالي هناك شيء نسقي مضمر، ويعمل الجمالي عمل التّعميّة الثّقافيّة لكي تظل الأنساق فاعلة ومؤثّرة ومستديمة من تحت قناع"[13]؛ فحسب هذا الرّأي فإنّ النّسق الثّقافي هو الأهم، وهو الذي يمتلك شرعيّة الوجود، لأنّ الثّقافة هي التي تحرك الخطاب الأدبي، وتصير كل الوسائل خدما لهذا النّسق، فهذا الرّأي ينتقد كل الآراء التي تم تداولها في النّقد الأدبي، وهو كون الأدبيّة تتمثّل في جماليّة الخطاب، لقد جاء الزّمن المعاصر بكل إيديولوجياته وانفجاره المعرفي وابتكار العديد من الأنساق من عادات وتقاليد وطبائع وقد صارت هذه الملكات والأنظمة الخفيّة محركة للنشاط الأدبي اليوم فلا يمكن تصور النّثر والشّعر مجرّد تحكم لغوي وبلاغي، بل الخطاب الأدبي اليوم أو في الماضي يحمل محرّكا ثقافيّاً مخفيا هو الأصل وهو المشروع النّسقي الحقيقي.

وحسب "عبد النّبي اصطيف" فإنّ "الغذامي" قدّم مجموعة من المفاهيم المتعلقة بالنّقد الثّقافي، وهي:[14]

– عن أنّ النّسق يتحدد بوظيفته التي لها أربع مواصفات أو شروط إذا ما توافرت نكون أمام حالة من حالات الوظيفة النّسقيّة؛

– وأنّ علينا أن نقرأ النّصوص والأنساق التي تلك صفتها بوصفها حالة ثقافيّة أو حادثة ثقافيّة؛

– وأنّ النّسق من حيث هو دلالة مضمرة تكون منغرسة في الخطاب، وتؤلّفها الثّقافة ويستهلكها الجمهور؛

– وأنّ النّسق ذو طبيعة سرديّة، يتحرك في حبكة متقنة، ولذا فهو خفي ومضمر وقادر على الاختفاء دوما.

– وأنّ الأنساق الثّقافيّة هذه أنساق تاريخيّة أزليّة وراسخة ولها الغلبة دائما.

– وأنّ هناك توريّة ثقافيّة.

– وأنّه لابد من وجود نسقين متعارضين في نص واحد.

فالنّقد الثّقافي الذي طوره عربيا وأثراه الغذامي، احتفى بالنّسق المقابل للبنيّة والنّظام حسب سوسير، حيث أنّ المعول عليه في النّص هو النّسق الثّقافي الخفي، فهو خاصيّة سرديّة لها نظامها عن طريقه يتم توليد النّصوص، وانطلاقا منه نفهم النّص، لأنّ النّسق الثّقافي هو الذي يولّد النّصوص الجماليّة، وقوام هذا النّسق ترسانة كبيرة من الخواص الإيديولوجيّة والتّاريخيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة والأنثروبولوجيّة، إنّ النّسق هو الذي يحرك عقولنا ووعينا ولا وعينا بصفته الهدف من كل تفسير أو تشريح أو تفكيك لأي نص، هذا النّسق موجود منذ القديم قِدَمَ الإنسان على الأرض، وهذا ما لم يبحث فيه النّقد الأدبي من قبل.

هـ) النّقد الثّقافي وما بعد الحداثة: ارتبط النّقد الثّقافي بمصطلح (ما بعد الحداثة) فقد: "...احتل ما يسمّى بما بعد الحداثة واجهة المسرح الثّقافي. والفرق بينها أنّ الحداثة كانت تحاول أن تستبدل بالعالم الزّائف عالما أكثر حقيقة، وبذلك كانت تحمل طابع التّمرد والنّضال، أمّا ما بعد الحداثة فقد رفضت الأوهام في وجود عالم موحد متسق منسجم ولكنّها لم تقدّم بديلا، فاستسلمت إلى التّعبير عن التّدمير، ونقض البناء، واللاترابط واللاتمركز، وما لا يمكن تخيّله، وتجاوزت الذّات، والانقسام، والتّفسخ، والانفصال واللاعقلانيّة...وكأنّها بذلك تتحدّث عن الأصل قبل أن تغزوه الأوهام الإنسانيّة التي أثبتت في نظرها فشلا ذريعا"[15]؛ فمثلما كانت تنادي ما بعد الحداثة، كان الأمر نفسه في النّقد

الثّقافي، عن طريق التّفكيك والتّشريح والتّهشيم وإعادة البناء، حتى يتم كشف الأنساق المسيرة للإنتاج الإنساني بأدبه وفنه وما ينتج عنه، لقد ارتبطت ما بعد الحداثة اليوم بالعولمة التي ترى في العالم ثقافة واحدة، وترى العالم قريّة صغيرة، لقد أطلق هذا التّوجه الفلسفي العنان للفكر وللفحص والمعالجة أن قضى وحطّم كل القيود التي كانت مفروضة على النّاقد وفتحت المجال لإعادة ترتيب الأشياء ورفعت التّقديس عن الأفكار والكيانات.

و) النّقد الثّقافي والبنيويّة: لقد جاء النّقد الثّقافي كرد فعل على الضّغوطات والتّحديدات التي مارستها البنيويّة على النّقد" يقول فنسنت ليتش إنّ الدّراسات الثّقافيّة حركة طارئة على تاريخ طويل من النّقد الثّقافي، يعدّ التّشكل الحديث نسبيا للدراسات الثّقافيّة لاسيما في بريطانيا خلال السّبعينات من القرن العشرين لحظة تمأسس وازدهار بارزة في التّاريخ الطّويل للنقد الثّقافي...ذلك التّاريخ، يقول النّاقد الأمريكي، تعرض لمعوق كبير متمثلا في الشّكلانيّة أو النّقد الشّكلاني وما يقاربها من اتجاهات أخرى كمدرسة شيكاغو (الأرسطيّة الجديدة)، ما بين الثّلاثينيات والسّتينيات من القرن العشرين بحرصهما على قراءة النّص من الدّاخل والتّقيد بحدوده الشّكليّة، أي عدم الدّخول في اية مسائل تتصل بالثّقافة خارج النّص عموما...وذلك ما جاءت مرحلة ما بعد البنيويّة لتنقضه"[16]؛ ذلك لأنّ النّص لا يمنح مكنوناته كلّها في الطّرح البنيوي، فيصير بذلك الأدب خادعا ولا يلامس حقيقته وأبعاده، لقد هيمن الطّرح البنيوي لعقود على مساحة الدّراسات النّقديّة، وأثناء ذلك، وقبله كذلك، كان الطّرح السّياقي الثّقافي المفتوح يدافع عن نظامه ومفهومه، وحقه في الوجود، حتى يتم فتح النّصوص على الواقع وعلى التّاريخ والظّروف وحتى على عناصر لم يكن يُتخيّل للنص أن ينفتح عليها، فلم تدم هيمنة البنيويّة، وجاء على أنقاضها الطّرح المابعد بنيوي الذي ولّد النّقد الثّقافي، لكون الثّقافة تتجسد من أنساقٍ لا حصر لها؛ إيديولوجيا وتاريخًا، وأمكنة، وأزمنة وأشخاصًا وحضارات، وسياسة، وكل ما أنتجه الفكر البشري بصفة عامّة.

ز) من مواقف النّقد الثّقافي: لقد كان نقّاد الثّقافة شديدي الانتقاد لعديد المظاهر المعاصرة،" وهكذا أخضع النّقاد الثّقافيون هرميات القيمة (Value hiérarchies) الأخرى للمساءلة، فانتقدوا على سبيل المثال المؤسّسة الجامعيّة بوصفها المسؤولة عن تعريف الثّقافة العليا في المجتمع، كما انتقدوا الحدود الاصطناعيّة التي تقيمها الجامعات بين

الكليات والأقسام، أو تلك التي تفصل ما بين دراسة الفنون و دراسة التّاريخ، بلهَ دراسة التّلفزيون والإعلان والصّحافة والتّراث الشّعبي والشّئون الرّاهنة ...ذلك أنّ الجامعة بمحافظتها على هذه الحدود المصطنعة إنما تعزز الهوة الفاصلة بين الثّقافة العليا والثّقافة الدّنيا. ومما تبيّن للنقاد الثّقافيين أيضا أنّ الجامعات عندما ربطت ضمنيا الجماليات بالأدب، والدّعاية بالإعلان فقد أقرّت ضمنا بوجود جانب دعائي في الأدب، مثلما أقرّت ضمنيا بوجود جانب جمالي في الإعلان..."[17]؛ فنقاد الثّقافة يرون بأنّ هناك وشائج قربى وصلات نسقيّة بين مختلف التّخصّصات والحقول المعرفيّة، إنّ النّقد الثّقافي يواجه وينتقد المؤسّسة بصفتها تحد من قدرة النّاقد في الأخذ بالنّقاش إلى مساحات أرحب أكثرفعاليّة وصدقًا، لقد حارب النّقد كل الاصطلاحات والتّعاريف التّقليديّة، ونعتتها بالتّقصيروالمحدوديّة وعدم البحث عن التّفسيرالجدي للأشياء بفعل القيود المفروضة وعدم انفتاح التّحليل والدّراسة على كل ما أنتجه الإنسان وخلّفه عبرتاريخه الطّويل، يحاول نقاد الثّقافة القيام بنشاط يشبه نشاط الفلسفة، طرح السّؤال وإثارة النّقاش، عوض الوصول إلى إجابة نهائيّة، لأنّ الثّقافة حركيّة ومتلونة وغيرمحدودة، ما يجر النّشاط النّقدي المصاحب لها إلى الغوص في الأعماق وإثارة الإشكال في كل مرّة وبصورة مخالفة.

ح) أسئلة النّقد الثّقافي: يقترح "الغذامي" مجموعة من الأسئلة على النّقد الثّقافي أن يجيب عليها:[18]

1-سؤال النّسق بديلا عن سؤال النّص.

2-سؤال المضمر بديلا عن سؤال الدّال.

3-سؤال الاستهلاك الجماهيري بديلا عن سؤال النّخبة المبدعة.

4-ويتوج ذلك سؤال عن حركة التّأثيرالفعليّة، وهل هي للنص الجمالي المؤسّساتي أم لنصوص أخرى لا تعترف بها المؤسّسة ولكنّها مع هامشيتها هي المؤثّرة فعلا، وهي المشكلة للأنساق الثّقافيّة العامّة التي لا تسلم منها حتى المؤسّسة بشخوصها ونصوصها.

لقد جاء النّقد الثّقافي لتحقيق أهداف جديدة كانت غائبة قبله فليس الهدف التّركيزعلى النّص بمّا يمنحه من جماليات وأشكال متفردة، بل الهدف هو البحث عن النّسق المضمر الخفي، الصّانع لهذا النّص، كما أنّ الأمر قد خرج في النّقد من نطاق الاهتمام برأي النّخبة وتحليلاتهم، وذهب النّص ليقع في حضن الجماهيرالعريضة بما تصنعه من أنظمة فكريّة

صنعها الوجود والتّجارب، لقد صار الأمر في النّقد الثّقافي الاهتمام بكل عناصر النّص مهما كانت بساطتها لأنّ أي عنصر قادر على إثراء النّص وفهمه وكشفه، فلم يعد النّص محتكّما وفق حدود ومرجعيّة خاصّة، بل صار مفتوحا على كل القراءات والتّأويلات والتّشكلات، لقد جاء ليبحث في الأعماق والبنى التي تؤسّس حقيقة النّص وجوهره.

ط) المؤلّف والنّسق: يحاول "الغذامي" التّوفيق بين المؤلّف والنّسق في نقده الثّقافي فـ:"...إذا كان مدلول النّسق يحيل إلى استقلال حركة العلاقات عن الظّواهر، فإنّ مدلوله في مشروع النّقد الثّقافي الغذامي (نسبة إلى النّاقد) يرتهن بسبعة شروط، هي: الوظيفيّة والثّقافيّة، والاستهلاكيّة، والسّرديّة، والتّاريخيّة، والرّمزيّة والخطابيّة. وهو ما يشي بخصوصيّة المشروع من حيث استعمال مصطلح النّسق، وتحديد موقف من مقولة (موت المؤلّف)، وهما متلازمان متعالقان، ذلك أنّ القول بالنّسق يفضي-إلى القول بموت المؤلّف فكما يكيّف النّاقد مصطلح النّسق ليلائم منهجيّة التّحليل وغايته، فهو يكيّف مقولة (موت المؤلّف) لتتساوق مع جوهر المشروع الذي يقوم على أساس أنّ النّسق الثّقافي هو معين النّص وليس المؤلّف، فالغذامي لا يتجاهل المؤلّف ولا ينكره ولا يستبعده، بل هو يقدّم سلطة النّسق على سلطة الكتابة"[19]؛ ففي النّقد الثّقافي الغربي، والذي طوّره عربيا الغذامي، يحاول هذا الأخير الوقوف موقفا وسطا أن يشغّل الفكر النّسقي الذي يركّز على الأنظمة الدّاخليّة والبنى العميقة مع المؤلّف الذي هو جزء من السّياق، وهو فاعل خارجي على النّص، ولكنّ الغذّامي يغلّب سلطة النّسق على سلطة المؤلّف، لأنّ لكل عنصر دورًا في عمليّة التّفسير والإثراء والكشف. وهو بهذا العمل يجاري رولان بارت وجاك دريدا وفوكو الذين أفادوا من الطّرح البنيوي السّوسيري، وفي الوقت نفسه وظّفوا الاتجاه السّياقي الذي يراعي الظّروف الخارجيّة من المؤلّف والمكان والزّمان والتّاريخ والإيديولوجيا والمجتمع، أي انفتاح النّص فيما بعد كبنيّة على القراءة والرّبط مع المؤثّر الخارجي كالوجود والعالم.

ي) أسباب بروز النّقد الثّقافي: هناك عدّة أسباب أسهمت في بروز النّقد الثّقافي وإحداها يبرزها "عبد النّبي اصطيف"، فمن الحقائق:"...ما خضعت له الدّراسات الثّقافيّة البريطانيّة من تطورات مضت بها من مرحلة النّزعة الثّقافيّة (Culturalism) في عقد السّتينات التي تم فيها الرّبط الوثيق بين الثّقافة والمجتمع، إلى مرحلة النّزعة البنيويّة (Structuralism) والتي سادتها الخلطة الماركسيّة-البنيويّة، أو البنيويّة الماركسيّة...إلى

مرحلة النّزعة ما بعد البنيويّة (Post-structuralism)، والماديّة الثّقافيّة Cultural materialism التي سادت الدّرس الثّقافي والنّقد الثّقافي منذ عقد الثّمانينيات. وإلى جانب كل ما تقدم ثمة التّطورات التي لحقت الدّراسات الثّقافيّة في مختلف أنحاء العالم، بعد انتشار ما يمكن دعوته بالدّراسات الثّقافيّة القوميّة، والإقليميّة، والقاريّة، فقد توسعت دائرة اهتمام هذه الدّراسات لتشمل قضايا من مثل قضيّة السّكان الأصليين (في أستراليا والأمريكيتين) وقضيّة المهاجرين (في أوربة بشكل خاص)، وقضيّة الدّين..."[20]؛ فالأحداث الاجتماعيّة والقضايا المعاصرة، والصّراع الإيديولوجي، أسهم في زحزحة الثّقافة من موضع بعيد من النّقد إلى موضع قريب منه إلى حد الالتّحام به فلكل وقت ظروفه ومشاغله، ويعتبر النّصف الثّاني من القرن العشرين إلى وقتنا الرّاهن عصر الانفجار الفكري والتّشابك والتّعقيد في القضايا الثّقافيّة، ممّا استوجب إخراج النّص من الدّائرة البنيويّة المغلقة إلى صلب الخطاب الاجتماعي بكل مظاهره، لقد جاء النّقد الثّقافي ليتولى زمام الأمور، وليقدم رأيه وأنساقه في شؤون العصر بكل تشكيلاته.

ك) الحاجة إلى النّقد الثّقافي: يرى "مصطفى الضّبع" أنّ النّقد الثّقافي ضرورة، "...بهذه الصّورة يعد طرحا نحن في حاجة للنظر إليه متخلّصين من نظرة التّوجس من الجديد أو التّعامل معه بطريقة الفحص لقبول بعضه أو الأخذ منه بما يتناسب مع أفكارنا القديمة وإنّه في حاجة لتطوير نظرتنا لحياتنا للوصول إلى منطقة يمكننا عبرها أن نستفيد من الطّرح الثّقافي، فإذا لم نكن مقبلين على آلياته، فإنّ ضرورة التّطوير تتطلب منا إيجاد البديل القادر على أن يتناسب مع أو يسهم في تطوير حياتنا أو جوانب منها هي في أشد الحاجة للتطوير أو للتخلص من الأفكار القديمة المشابهة للتماثيل القديمة لآلهة فقدت فاعليتها على مرّ الزّمان، ولم تعدّ قادرة على طرح الجديد"[21]؛ فالنّقد الثّقافي اليوم فرض كلمته على الدّارسين عبر مختلف الثّقافات، وقد أثبت الغذامي وغيره نجاعة وفاعليّة النّقد الثّقافي مع العلم أنّ هناك مواضيع عالجها هذا المنهج لا تتفق مع خصوصياتنا الثّقافيّة والحضاريّة ولكن ليس بالضّرورة إسقاط كل ما يطرح في الثّقافة الغربيّة، بل نأخذ ما يتناسب مع تراثنا ونفتح التّراث على هذا المنهج النّقدي الفتي، لأنّنا إذا وقفنا مع مسافة فاصلة مع النّقد الثّقافي يمكن أن نتوقف، ولا تأتينا الفرصة لاستكمال ما بدأه العرب الأوائل.

ترى "عُليّة النّجار" أنّ خطابنا التّراثي، والذي يضرب بامتداده إلى الفترة الحاليّة بحاجة إلى النّقد الثّقافي، "...يجنبنا الانخراط في صراعات الماضي ومشكلاته، والتي مازالتّ تلعب دورا أساسيا في تمزقنا وتشرذمنا وانتشار اللهجات المحليّة...ولأنّنا متشبعون بالماضي وفرقه ومذاهبه وصراعاته الفقهيّة أو الفكريّة أو السّياسيّة أو الجغرافيّة. والسّماح للعقل بممارسة دوره النّقدي الخلاق هو الكفيل بإخراجنا من كل العصبيات والانتماءات المجزئة وإدخالنّا في لحظة الإحساس الجماعي بتحديات الحاضر والمستقبل، واستشعار مسؤوليّة التّكليف والتّكتل لخوض غمار مسيرة البناء، فلا نجاح لعمليّة النّقد الثّقافي دون العمل وتطبيق مفاصل ذلك النّقد في العمران والاستخلاف في الأرض. والخروج من حالات الانشطار الثّقافي الذي تعيشه الأمّة"[22]؛ فالنّقد الثّقافي سيكون ذا تأثير كبير على الثّقافة العربيّة المعاصرة بما تتشكل وتبنى عليه من تراث قديم، فنستطيع بالجديّة والحريّة القدرة على إعادة التّفكيك والتّشريح وإعادة القراءة وتفكيك الألغام، والعقد التي انغرست في ثقافتنا حتى نعيد ترتيب الثّقافة البنّاءة بالنّقد العلمي النّسقي خاصّة وأنّنا نعلم أنّ هناك العديد من المواضيع الثّقافيّة التي صارت مقدّسة ومستعصيّة عن النّظر والنّقاش والتّحليل العميق فالنّقد الثّقافي يمكن الاستثمار فيه بإمكانيّة تجليّة الأشياء وإيضاحها على النّحو الذي يسمح لنا بإعادة ترتيب قناعاتنا ومواقفنا نحو الاتجاه السّليم الذي يسهم في صناعة الإنسان العربي المتكامل والذي يمتلك منظومة فكريّة متناسقة.

خاتمة: يعتبر النّقد ضرورة حضاريّة للنهوض بالفكر والعقل والذّوق، خاصّة النّقد الأدبي، فلا يمكن تصور أدب ناجح من دون وجود منهج نقدي فاعل، والنّاظر في شؤون التّعليم الجامعي حاليا يجد أنّ دروس النّقد لم تبارح النّقد ذي التّوجه البنيوي، بينما عند الغربيين نجدهم تجاوزوا كل ما يتعلّق بالبنيويّة، واستقر أمرهم على النّقد السّياقي، وعلى رأسه النّقد الثّقافي، وهو ضرورة أملتها الظّروف الحضاريّة الرّاهنة، بسبب هيمنة العولمة ومسألة الهجرة والدّيانات المختلفة، والنّقد النّسوي، والقطبيّة الإيديولوجيّة. فالغربيون براغماتيون في تعاطيهم المعرفي عموما، والنّقد الأدبي على وجه الخصوص، فطوّروا من منظومة النّقد الثّقافي لمعالجة عدّة مشاكل عصريّة تعرض عليهم، وهذا ما يدعونا اليوم كدارسين عرب محدثين بأنّ نسارع بالاختيار المناسب، ليس في مجال النّقد فحسب، بل وفي كل مجالات المعرفة الإنسانيّة؛ حتى نصحّح الكثير من الرّؤى المتوارثة، والتي قد لا تتّفق مع طموحنا وغايتنا.

الإحالات:

[1] https://dicocitations.lemonde.fr/definition_littre/35576/Critique.php

[2] صلاح قلنصوة، تمارين في النّقد الثّقافي، دار ميريت، ط1 القاهرة، .20 ص: 13، 14.

[3] أرثر أيزابرجر، النّقد الثّقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرّئيسيّة تر: وفاء إبراهيم، رمضان بسطاويسي المجلس الأعلى للثقافة ط1، القاهرة، 2003 ص: 30، 31.

[4] صلاح قنصوة، تمارين في النّقد الثّقافي، ص 05.

[5] ميجان الرّويلي، سعد البازعي، دليل النّاقد الأدبي، المركز الثّقافي العربي ط3، بيروت 2003، ص: 308، 309.

[6] عبد النّبي اصطيف، "ما النّقد الثّقافي؟ ولماذا؟"، مجلة فصول المجلد (25/3) العدد 99، ربيع 2017، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، مصر، ص 23.

[7] نزار جبريل السّعودي، "تفاعل النّقد الثّقافي مع المناهج النّقديّة والمعارف المتعدّدة: قراءة لأهم المفاهيم الرّئيسة"، مجلة جامعة الشّارقة للعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة المجلد 14، العدد 02، ديسمبر 2017، الشّارقة، ص: 219، 220.

[8] عبد الله الغذامي، النّقد الثّقافي، قراءة في الأنساق الثّقافيّة العربيّة المركز الثّقافي العربي، ط3، لبنان 2005، ص 32.

[9] المرجع نفسه، ص: 83، 84.

[10] إيريك لورانس غانز، "في النّقد الثّقافي للحداثة"، تر: أحسن دواس، مجلة فصول المجلد (25/3) العدد 99، ربيع 2017، ص 404.

[11] عبد النّبي اصطيف، " ما النّقد الثّقافي؟ ولماذا؟"، ص 22.

[12] عبد الله الغذامي، النّقد الثّقافي، قراءة في الأنساق الثّقافيّة العربيّة، ص 72.

[13] عبد الله محمّد الغذامي، عبد النّبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي؟، دار الفكر، ط1 دمشق، 2004 ص 30.

[14] المرجع نفسه، ص: 195، 196.

[15] صلاح قلنسوة، تمارين في النّقد الثّقافي، ص 29.

(16) ميجان الرّويلي، سعد البازعي، دليل النّاقد الأدبي، ص 308.

(17) عبد النّبي اصطيف، "ما النّقد الثّقافي؟ ولماذا؟"، ص 24.

(18) عبد الله محمّد الغذامي، عبد النّبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي؟ ص 36.

(19) سيدي محمّد بن مالك، "فلسفة النّقد الثّقافي عند عبد الله الغذامي" كتابات معاصرة، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانيّة، العدد 96، المجلد 24، (تموز-آب 2015) بيروت، ص 55.

(20) عبد النّبي اصطيف، "مقدمة في النّقد الثّقافي"، مجلة الموقف الأدبي العدد 520، آب 2014، ص 26.

(21) مصطفى الضّبع، "أسئلة النّقد الثّقافي"، مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم المنيا، 23/26 ديسمبر 2003، ص: 12، 13.

(22) عليّة النّجار، "الأنساق المضمرة بين النّقد الأدبي والنّقد الثّقافي"، مجلة كليّة التّربيّة الأساسيّة، العدد الثّامن والسّتون العراق، 2011، ص: 24، 25.